

معاني الكلمات :

يبتغون : يتطلعون .

شطأه : فراخه .

فأزره : قواه وأعانه .

على سوقه : على أصوله .

تقدموا : تقدموا .

تحبط : تبطل .

يغضون : يخفصون .

امتنح : أخلص وأصفى .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - أن نعلم صفة أصحاب رسول الله ﷺ تلك الجماعة المختارة .

٢ - أن نتعلم الأدب اللائق مع الله ورسوله ﷺ .

٣ - أن نتعلم الأدب الأليق في الحديث والخطاب عن رسول الله ﷺ .

المحتوى التربوي :

نجىء إلى ختام السورة بتلك الصورة الوضيئة التى يرسمها القرآن لواقع صحابة رسول الله ﷺ ، وبذلك الشاء الكريم على تلك الجماعة الفريدة السعيدة التى رضى الله عنها ، وبلغها رضاه فردًا فردًا ، صورة عجيبة مؤلفة من عدة لقطات لأبرز حالات هذه الجماعة المختارة ؛ فلقطة تصور حالتهم مع الكفار ومع أنفسهم ، فهم أشداء على الكفار وفيهم أبأؤهم وإخوتهم وذوو قرباتهم وصحابتهم ولكنهم قطعوا هذه الوشائج كلها ، رحاء فيما بينهم وهم فقط إخوة دين ، فهى الشدة لله والرحمة لله ، وهى الحمىة للعقيدة ، والسماحة للعقيدة ، فليس لهم فى أنفسهم شىء ، وهم يقيمون عواطفهم ومشاعرهم كما يقيمون سلوكهم وروابطهم على أساس عقيدتهم وحدها .

ثم يختار من هيئاتهم وحالاتهم ، هيئة الركوع والسجود وحالة العبادة ، وكأنها هذه هيئتهم الدائمة التي يراها الرائي حينما رآهم ، وتأتى اللقطة الثالثة لبواطن نفوسهم وأعماق سرائرهم ، وهى صورة لمشاعرهم الدائمة الثابتة ، فكل ما يشغل بالهم وكل ما تتطلع إليه أشواقهم هو فضل الله ورضوانه ، ولا شئ وراء الفضل والرضوان يتطلعون إليه ويشغلون به .

واللقطة الرابعة تثبت أثر العبادة الظاهرة والتطلع المضمر فى ملاحظتهم ، ونضحها على سماتهم ؛ سيماهم فى وجوههم من الوضوء والإشراق والصفاء والشفافية ، ومن ذبول الحى الوضىء اللطيف ، وليست هى هذه السيمياء النكتة المعروفة فى الوجه كما يتبادر إلى الذهن ، فالمقصود بأثر السجود هو أثر العبادة ، وهذه الصورة الوضئية ليست مستحدثة ، إنها هى ثابتة لهم فى لوحة القدر وجاء ذكرها فى التوراة .

وصفتهم فى بشارة الإنجيل بمحمد ﷺ ومن معه ؛ كزرع نام قوى أخرج أول ما ينشق عنه من الفروع ، والنبت الطرى فى جوانبه من قوته وخصوبته ، وهذه الفروع لا تضعف العود بل تشده ، فاستغلظ الزرع وضخمت ساقه وامتلات ، فاستوى لا معوجا ومحنيا ، ولكن مستقيما قويا سويا ، هذه صورته فى ذاته ، أما وقعه فى نفوس أهل الخبرة فى الزرع فهو وقع البهجة والإعجاب ، وأما وقعه فى نفوس الكفار على العكس : فهو وقع الغيظ والكمد ، وهكذا يثبت الله فى كتابه الخالد صفة هذه الجماعة المختارة حتى تبقى نموذجا للأجيال تحاول أن تحققها ، لتحقيق معنى الإيمان فى أعلى الدرجات ، وفوق هذا التكريم كله وعد الله بالمغفرة والأجر العظيم

سورة الحجرات

أول ما يبرز للنظر عند مطالعة السورة ، هو أنها تكاد تستقل بوضع معالم كاملة لعالم رفيع كريم نظيف سليم ، متضمنة القواعد والأصول والمبادئ والمناهج التى يقوم عليها هذا العالم ، والتى تكفل قيامه أولا ، وصيانته أخيراً ، عالم يصدر عن الله ويتجه إلى الله ، ويليق أن ينتسب إلى الله ، عالم نقى القلب نظيف المشاعر ، عفى اللسان ، وقبل ذلك عفى السريرة .

هو عالم له أدب مع الله ، ومع رسول الله يتمثل هذا الأدب فى إدراك حدود العبد أمام الرب والرسول الذى يبلغ عن الرب ، فلا يسبق العبد المؤمن إلهه فى أمر أو نهى ، ولا يقترح عليه فى قضاء أو حكم ، ولا يتجاوز ما يأمر به وما ينهى عنه ، ولا يجعل لنفسه إرادة أو رأيا مع خالقه ، تقوى منه وخشية ، وحياء منه وأدبا ، فيأبى الذين آمنوا لا تقترحوا على الله ورسوله اقتراحا ، لا فى خاصة أنفسكم ، ولا فى أمور الحياة من حولكم ، ولا تقولوا فى أمر قبل قول الله فيه على لسان رسوله ، ، ولا تقضوا فى أمر لا ترجعون فيه إلى قول الله وقول رسوله .

فهو أدب نفسى مع الله ورسوله ، وهو منهج فى التلقى والتنفيذ ، وهو أصل من أصول التشريع والعمل فى الوقت ذاته ، وهو منبثق من تقوى الله وراجع إليها ، هذه التقوى التابعة من الشعور بأن الله سميع عليم ، وكذلك تأدب المؤمنين مع ربهم ومع رسولهم ، فما عاد مقترح منهم يقترح على الله ورسوله ، وما عاد واحد منهم يدلى برأى لم يطلب منه رسول الله ﷺ أن يدلى به ، وما عاد أحد منهم يقضى برأيه فى أمر أو حكم ، إلا أن يرجع قبل ذلك إلى قول الله وقول الرسول .

والأدب الثانى هو أدبهم مع نبيهم فى الحديث والخطاب ، وتوقيرهم له فى قلوبهم ، توقيراً ينعكس على نبراتهم وأصواتهم ، ويميز شخص رسول الله بينهم ، ويميز مجلسه فيهم والله يدعوهم إليه بذلك النداء الحبيب ، ويحذرهم من مخالفة ذلك التحذير الرهيب .

ونوه الله بتقواهم وغضهم أصواتهم عند رسول الله ﷺ فى تعبير عجيب ، فالتقوى هبة عظيمة ، يختار الله لها القلوب بعد امتحان واختبار ، وبعد تخليص وتمحيص ، فلا يضعها فى قلب إلا وقد تنهأ لها ، وقد ثبت أنه يستحقها ، والذين يفضون أصواتهم عند رسول الله قد اختبر الله قلوبهم وهبأها لتلقى تلك الهبة ، هبة التقوى ، وقد كتب لهم معها وبها المغفرة والأجر العظيم ، إنه الترغيب العميق بعد التحذير المخيف ، بها يربى الله قلوب عباده المختارين ، ويعدها للأمر العظيم الذى نهض به الصدر الأول على هدى من هذه التربية ونور ، وعرف علماء هذه الأمة وقالوا : إنه يكره رفع الصوت عند قبره ﷺ كما كان يكره فى حياته ﷺ احتراماً له فى كل حال .

ثم أشار السياق إلى حادث وقع من وفد بنى تميم حين قدموا على النبی ﷺ فى العام التاسع ، وكانوا أعراباً جفأً ، فنادوا من وراء حجرات أزواج النبی ﷺ يا محمد اخرج لنا ، فكره النبی ﷺ هذه الجفوة وهذا الإزعاج ، فوصفهم الله بأن أكثرهم لا يعقلون ، وبين لهم الأولى والأفضل وهو الصبر والانتظار حتى يخرج إليهم ، وحيب إليهم التوبة والإنابة ، ورغبهم فى المغفرة والرحمة .

وقد وعى المسلمون هذا الأدب الرفيع ، وتجاوزوا به شخص رسول الله ﷺ إلى كل أستاذ وعالم ، لا يزعجونهم حتى يخرج إليهم ، ولا يقتحمون عليه حتى يدعوهم .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - المؤمن كريم على الله وعليه أن يرفع الكرامة فى نفسه .

٢ - الحياة الإسلامية نظيفة المشاعر سليمة السلوك ترفع أصحابها إلى حياة الكمال .

٣ - المؤمن لا يتجاوز ما يأمر به الله وما ينهى عنه .

معاني الكلمات :

فاسق : غير موثوق بصدقه وعدالته .

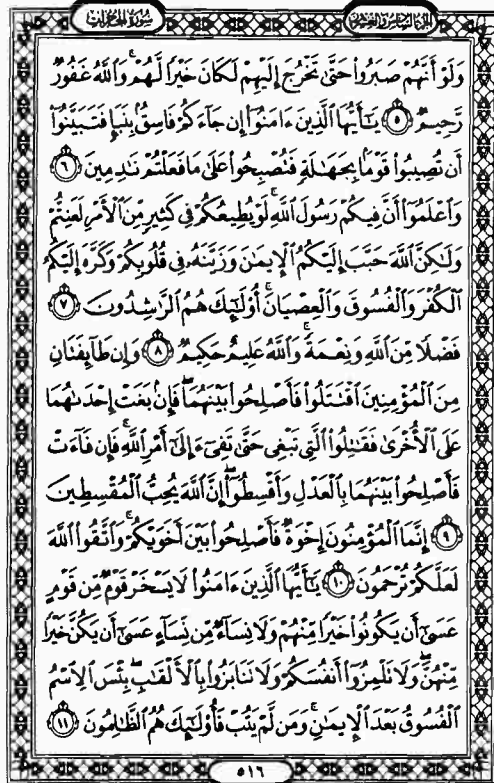
فتبينوا : فتشبتوا . لعنتم : وقعتم في الحرج والإثم . زينه : حسنه . الفسوق : الخروج عن طاعة الله . بغت : تجاوزت حدها بالظلم . تلمزوا : تعيبوا . تنابزوا بالألقاب : لا تداعوا بالألقاب المستكرهة .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - أن نعلم كيف يتلقى المؤمنون الأنباء وكيف يتصرفون فيها ؟

٢ - أن نعلم أن نعمة الإيمان من رحمة الله وفيضه .

٣ - أن نعلم أن القيم التي يراها الرجال والنساء في أنفسهم ليست هي



القيم الحقيقية التي يوزن بها الناس .

المحتوى التربوي :

يأتى هذا النداء الثالث بين للمؤمنين كيف يتلقون الأنباء وكيف يتصرفون بها ، ويقرر ضرورة الثبوت من مصدرها ، ويخصص الفاسق لأنه مظنة الكذب ، وحتى لا يشيع الشك بين الجماعة المسلمة في كل ما ينقله أفرادها من أنباء فيقع ما يشبه الشك في معلوماتها فالأصل في الجماعة المؤمنة أن يكون أفرادها موضع ثقتها ، وأن تكون أنباؤهم مصدقة مأخوذاً بها ، فأما الفاسق فهو موضع شك حتى يثبت خبره ، وبذلك يستقيم أمر الجماعة وسطا بين الأخذ والرفض لما يصل إليها من أنباء ، ولا تعجل الجماعة في تصرف بناء على خبر فاسق ، فتصيب قوما بظلم عن جهالة وتسرع ، فتندم على ارتكابها ما يغضب الله ، وتجنب الحق والعدل في اندفاع .

ومدلول الآية عام وهو يتضمن مبدأ التمهيص والتثبت من خبر الفاسق ، فأما الصالح فيؤخذ بخبره ؛ لأن هذا هو الأصل في الجماعة المؤمنة ، وخبر الفاسق استثناء ، والأخذ بخبر الصالح جزء من منهج الثبوت لأنه أحد مصادره .

وجاءت الآية التالية تذكرهم بالحقيقة الضخمة والنعمة الكبيرة التي تعيش بينهم ليدركوا قيمتها وينتبهوا دائماً لوجودها وهي أن فيهم رسول الله ، وهي حقيقة تتصور بسهولة ؛ لأنها

وقعت ووجدت ، ولكنها عند التدبر تبدو هائلة لا تكاد تتصور ، وهل من اليسير أن يتصور الإنسان أن تتصل السماء بالأرض صلة دائمة حية مشهودة ، فتقول السماء للأرض ، وتخبر أهلها عن حالهم وجهرهم وسرهم ، وتقوّم خطأهم أولاً بأول ، ويفعل أحدهم الفعلة ويقول أحدهم القولة ، ويسر أحدهم الخالجة فإذا السماء تطلع ، وإذا الله جلا جلاله ينبيى رسوله بما وقع ، ويوجهه لما يفعل وما يقول في هذا الذى وقع ، وإنه لنبا عظيم ، وإنها حقيقة هائلة قد لا يحس بضخامتها من يجدها بين يديه ومن ثم كان التنبيه ؛ اعلموا هذا قدره ، وقدره حق قدره فهو أمر عظيم ، ولو أطاعهم فيما يعن لهم أنه خير لعنتوا وشق عليهم الأمر ، فالله أعرف منهم بما هو خير لهم ورسوله رحمة لهم فيما يدبر لهم ويختار ، فعليهم أن يتركوا أمرهم الله ورسوله .

ثم يوجههم إلى نعمة الإيـان الذى هداهم إليه ، وحرك قلوبهم لحبه ، وكشف لهم عن جماله وفضله ، وعلق أرواحهم به ، وكره إليهم الكفر والفسوق والمعصية ، وكان هذا كله من رحمته وفيضه ، فاختر الله لفريق من عباده لشرح صدورهم للإيـان فضل من الله ونعمه ، دونها كل فضل ونعمة ، والذى يستوقف النظر هنا هو تذكيرهم بأن الله هو الذى أراد بهم هذا الخير ، وهو الذى خلص قلوبهم من الشر : الكفر والفسوق والعصيان ، وهو الذى جعلهم بهذا راشرين فضلا منه ونعمة ، وأن ذلك كله كان عن علم منه وحكمة ، وفي تقرير هذه الحقيقة إيحاء لهم كذلك بالاستسلام لتوجيه الله وتدبيره إلى هذا الخير والاطمئنان إلى ما وراءه من خير عليهم وبركة ، فالله يختار لهم الخير ، ورسول الله ﷺ فيهم يأخذ بيدهم إلى هذا الخير ، وإن الإنسان ليعجل وهو لا يدري ما وراء خطواته وإن الإنسان ليقترح لنفسه ولغيره ، وهو لا يعرف ما الخير وما الشر فيما يقترح .

وينتقل السياق إلى قاعدة تشريعية عملية لصيانة المجتمع المؤمن من الخصام والتفكك ، تحت النزوات والاندفاعات تأتى تعقيبا على تبين خبر الفاسق ، وعدم العجلة والاندفاع وراء الحمية والحماسة ، قبل الثبـت والاستيقان ، والقرآن قد واجه - أو هو يفترض - إمكان وقوع القتال بين طائفتين من المؤمنين ، ويستبقى لكلتا الطائفتين وصف الإيـان مع اقتتالهما ، ومع احتمال أن إحداهما قد تكون باغية على الأخرى ، بل مع احتمال أن تكون كلتا هما باغية في جانب من الجوانب ؛ وهو يكلف الذين آمنوا أن يقوموا بالإصلاح بين المتقاتلين ، فإن بغت إحداهما فلم تقبل الرجوع إلى الحق ، ومثله أن تبغيا معا يرفض الصلح ، فعلى المؤمنين أن يقاتلوا البغاة إذن حتى يرجعوا إلى أمر الله ، فإذا تم قبول البغاة لحكم الله ، قام المؤمنون بالإصلاح القائم على العدل الدقيق طاعة لله وطلبا لرضاه ، فالله يحب المقسطين

ويعقب السياق على هذه الدعوة باستجاشة قلوب الذين آمنوا واستحياء الرابطة الوثيقة بينهم ، والتى جمعتهم بعد تفرق ، ومما يترتب على هذه الأخوة أن يكون الحب والسلام والتعاون والوحدة هى الأصل فى الجماعة المسلمة ، والإصلاح القائم على تقوى الله مطلوب ، فتقوى الله تحقيق للرحمة لمن اتقاه .

والمجتمع الفاضل الذى يقيمه الإسلام بهدى القرآن مجتمع له أدب رفيع ، ولكل فرد فيه كرامته التى لا تمس ، وهى من كرامة المجموع ، ولز أى فرد هو لمز لذات النفس ؛ لأن الجماعة كلها وحدة ، كرامتها واحدة ، والقرآن فى هذه الآية يهتف للمؤمنين بذلك النداء الحبيب يناديهم بالمؤمنين ، وينهاهم أن يسخر قوم بقوم أى : رجال برجال فلعلهم خير منهم عند الله ، أو أن يسخر نساء من نساء فلعلهن خير منهن فى ميزان الله ، وفى التعبير إيماء خفى بأن القيم الظاهرة التى يراها الرجال فى أنفسهم ويراها النساء فى أنفسهن ليست هى القيم الحقيقية التى يوزن بها الناس ، فهناك قيم أخرى قد تكون خافية عليهم يعلمها الله ويزن بها العباد ، وقد يسخر الرجل الغنى من الرجل الفقير ، والرجل القوى من الرجل الضعيف ، والرجل السوى من الرجل المؤوف ، وقد يسخر الذكى الماهر من الساذج الخام ، وقد يسخر ذو الأولاد من العقيم ، وذو العصبة من اليتيم ، وقد تسخر الجميلة من القبيحة ، والشابة من العجوز ، والمعتدلة من المشوهة والغنية من الفقيرة ، هذه وأمثالها من قيم الأرض ليست هى المقياس ، فميزان الله يرفع ويخفض بغير هذه الموازين .

ولكن القرآن لا يكتفى بهذا الإيماء ، بل يستجيش عاطفة الأخوة الإيمانية ، ويذكر الذين آمنوا بأنهم نفس واحدة من يلزمها فقد لزمها ، واللمز : العيب ، ومن السخرية ، واللمز التناز بالالقباب التى يكرهها أصحابها ، ويحسون فيها سخرية وعباء ، ومن حق المؤمن على المؤمن ألا يناديه بلقب يكرهه ويزرى به ، ومن أدب المؤمن ألا يؤذى أخاه ، وقد غير رسول الله ﷺ أسماء وألقابا كانت فى الجاهلية لأصحابها بما يزرى بأصحابها أو يصفهم بوصف ذميم .

والآية تستثير معنى الإيمان ، وتحذر المؤمنين من فقدان هذا الوصف الكريم ، والفسوق عنه والانحراف بالسخرية واللمز والتناز ، فهو شئ يشبه الارتداد عن الإيمان وتهدد باعتبار هذا ظلما ، والظلم أحد التعبيرات عن الشرك ، وبذلك تضع قواعد الأدب النفسى لذلك المجتمع الفاضل الكريم .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - يجب التثبت فى الأخبار ، حتى لا يؤدى عدم التثبت إلى نتائج سيئة وآثار ضارة بالأفراد والمجتمعات .

٢ - يجب أن نصدق المؤمنين الموثوق بهم فيما ينقلون إلينا من أخبار وأقوال ما دما لم نجرب عليهم كذبا .

٣ - على المؤمنين أن يقوموا بإصلاح بين المتخاصمين .

٤ - لا يجوز لمسلم ولا مسلمة أن يسخر أو يستهزئ بإنسان مهما كان أقل منه فى مال أو جسم أو مكانة اجتماعية

معانى الكلمات :

لا تجسسوا : لا تتبعوا عورات المسلمين .

يغتب : يذكر أخاه بما يكره إن كان فيه .

أما : صدقنا بقلوبنا وألسنتنا .

يلتكم : ينقصكم .

يرتابوا : يشكوا .

اتعلمون : أتخبرون .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - أن تتعلم كيف نحافظ على حرمان الأشخاص به وكراماتهم وحياتهم .

٢ - أن نعلم أن الناس من أصل واحد خلقوا ليتعارفوا ويتعاونوا .

٣ - أن نتعرف على حقيقة الإيثار وأنه أكبر المنن على الإنسان من الله .

المحتوى التربوي :

يقيم السياق سياجا آخر في هذا المجتمع الفاضل الكريم ، حول حرمان الأشخاص به وكراماتهم وحياتهم ، بينما هي تعلم الناس كيف يتظفون مشاعرهم وضمايرهم في أسلوب مؤثر عجيب ، فيأمرهم باجتناب كثير من الظن فلا يتركوا ، نفوسهم نبها لكل ما يهيج فيها حول الآخرين من ظنون وشبهات وشكوك ، وما دام النهي منصبا على أكثر الظن ، والقاعدة أن بعض الظن إثم ، فإن إيحاء هذا التعبير للضمير هو اجتناب الظن السيئ أصلا ، لأنه لا يدرى أى ظنونه تكون إثما . وبهذا يطهر القرآن الضمير من داخله أن يتلوث بالظن السيئ ، فيقع في الإثم ، ويدعه نقيا بريئا من الهواجس والشكوك .

ثم يستطرد السياق في ضمانات المجتمع إلى مبدأ آخر يتصل باجتناب الظنون ، وهو النهي عن التجسس ، والتجسس قد يكون هو الحركة التالية للظن ، وقد يكون حركة ابتدائية لكشف

العورات ، والاطلاع على السوءات والقرآن يقاوم هذا العمل الدينى من الناحية الأخلاقية ، فللناس حرياتهم وحرماهم وكراماتهم التى لا يجوز أن تنتهك فى صورة من الصور ، ولا أن تمس بحال من الأحوال ، ولا يوجد مبرر - مها يكن - لانتهاك حرماة الأنفس والبيوت والأسرار والعورات ، حتى ذريعة تتبع الجريمة وتحقيقها لا تصلح فى النظام الإسلامى ذريعة للتجسس على الناس .

بعد ذلك يجرى النهى عن الغيبة فى تعبير عجيب ، فلا يغتب بعضكم بعضا ، ثم يعرض مشهداً تتأذى له أشد النفوس كثافة وأقل الأرواح حساسية ، مشهد الأخ يأكل لحم أخيه ميتا .

قال ابن الأثير : « فإنه كنى عن الغيبة بأكل الإنسان لحم إنسان آخر مثله ، ثم لم يقتصر على ذلك حتى جعله ميتا ، ثم جعل ما هو الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة » .

ثم يبادر فيعلن عنهم أنهم كرهوا هذا الفعل المثير للاشمئزاز ، وأنهم إذن كرهوا الاغتيال ، ثم يعقب على كل ما نهاهم عنه فى الآية باستجاشة شعور التقوى ، والتلويح لمن اقترف من هذا شيئا أن يبادر بالتوبة تطلعا للرحمة ، وبمثل هذا العلاج الثابت المطرد تطهر المجتمع الإسلامى وارتفع .

ثم يهتف السياق بالإنسانية جميعا على اختلاف أجناسها وألوانها ، ليردها إلى أصل واحد وإلى ميزان واحد ، هو الذى تقوم به تلك الجماعة المختارة الصاعدة إلى ذلك الأفق السامق ، فى أيها الناس ، يا أيها المختلفون أجناسا وألواناً ، المتفرقون شعوبا وقبائل ، إنكم من أصل واحد فلا تختلفوا ولا تفرقوا ولا تتخاصموا ولا تذهبوا بددا ، فالغاية من جعلكم شعوبا وقبائل ، إنها ليست للتناحر والخصام إنما هى للتعارف والوئام ، فأما اختلاف الألسنة والألوان ، واختلاف الطباع والأخلاق ، واختلاف المواهب والاستعدادات ، فتنوع لا يقتضى النزاع والشقاق ، بل يقتضى التعاون للنهوض بجميع التكاليف والوفاء بجميع الحاجات ، وليس اللون والجنس واللغة والوطن وسائر هذه المعانى من حساب فى ميزان الله ، إنما هنالك ميزان واحد تتحدد به القيم ، ويعرف به فضل الناس وهو التقوى ، والكريم حقا هو الكريم عند الله ، وهو يزنكم عن علم وعن خبرة بالقيم والموازين .

وفى ختام السورة تأتى المناسبة لبيان حقيقة الإيمان وقيمه ، فى الرد على الأعراب الذين قالوا آمنا ، وهم لا يدركون حقيقة الإيمان ، والذين منوا على رسول الله ﷺ أنهم أسلموا وهم لا يقدر من الله على عباده بالإيمان ، ومع هذا فإن كرم الله اقتضى أن يجزيهم على كل عمل صالح يصدر منهم لا ينقصهم منه شيئا ، فهذا الإسلام الظاهر الذى لم يخالط القلب فيستحيل إيمانا وثاقا مطمئنا ، هذا الإسلام يكفى لتحسب لهم أعمالهم الصالحة ، فلا تضيع كما تضيع أعمال الكفار ، ولا ينقص من أجرها شىء عند الله ما بقوا على الطاعة والاستسلام ، ذلك أن الله أقرب إلى المغفرة والرحمة فيقبل من العبد أول خطوة ، ويرضى منه الطاعة والتسليم ، إلى أن يستشعر قلبه الإيمان والطمأنينة .

ثم بين لهم حقيقة الإيمان ، فالإيمان تصديق القلب بالله وبرسوله التصديق الذى لا يرد عليه شك ولا ارتياب ، التصديق الذى ينبثق منه الجهاد بالمال والنفس فى سبيل الله ، وأصحاب هذا الإيمان هم الصادقون فى عقيدتهم ، الصادقون حين يقولون إنهم مؤمنون ، فإذا لم تتحقق تلك المشاعر فى القلب ، ولم تتحقق آثارها فى واقع الحياة ، فالإيمان لا يتحقق والصدق فى العقيدة وفى ادعائها لا يكون .

ثم يستطرد مع الأعراب يعلمهم أن الله عالم بقلوبهم وما فيها ، وأنه هو يخبرهم بما فيها ولا يتلقى منهم العلم عنها ، والإنسان يدعى العلم ولا يعلم نفسه ولا يستقر فيها من مشاعر ولا يدرك حقيقة نفسه ولا حقيقة مشاعره ، والله يعلم كل شئ فى السموات والأرض علماً حقيقياً لا بظواهرها وآثارها ، ولكن بحقائقها وماهياتها ، وعلماً شاملاً محيطاً غير محدود ولا موقوت فهو بكل شئ عليم .

ويتوجه الخطاب إلى الرسول ﷺ عن منّهم عليه بالإسلام فجاءهم الرد ألا يمتنوا بالإسلام وأن المنة لله عليهم لو صدقوا فى دعوى الايمان ، فالإيمان هو كبرى المنن التى ينعم بها الله على عبد من عباده فى الأرض ، إنه أكبر من منة الوجود الذى يمنحه الله ابتداءً لهذا العبد ، وسائر ما يتعلق بالوجود من آلاء الرزق والصحة والمتاع ، إنها المنة التى تجعل للوجود الإنسانى حقيقة مميزة ، وتجعل له فى نظام الكون دوراً أصيلاً عظيماً ، فالإيمان قوة دافعة وطاقة مجتمعة ، فما تكاد حقيقته تستقر فى القلب حتى تتحرك لتعمل ولتحقق ذاتها فى الواقع ، ولتوائم بين صورتها المضمرة وصورتها الظاهرة ، وصدق الله العظيم ، فالإيمان المنة الكبرى وماذا وجد من فقدتها ولا تقلب فى أعطاف النعيم وهو يتمتع ويأكل كما تأكل الأنعام .

والذى يعلم غيب السموات والأرض يعلم غيب النفوس ، ومكنون الضمائر ، وحقائق الشعور ، ويصر ما يعمل به الناس ، فلا يستمد علمه بهم من كلمات تقوها ألسنتهم ، ولكن من مشاعر تحبش فى قلوبهم ، وأعمال تصدق ما يحبش فى القلوب .

ما ترشدنا إليه الآيات تريبياً :

١ - من كبائر الذنوب التى يجب على المسلم أن يجتنبها التجسس لكشف عورات المسلمين والغيبة ، وسوء الظن .

٢ - يجب أن نشكر الله تعالى على نعمة الإيمان والهداية إلى طريق الخير ، وعلى نعمة التثبيت على الإيمان .

٣ - يجب على المسلم ألا يستكثر أعمال الخير التى يوفقه الله إليها ، فالحمد لله تعالى غنى عن عباده ، وطاعتهم يعود نفعها عليهم .